﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾ [يونس: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الاستِدلالُ على توحيدِ اللهِ بالمنافِعِ الحاصلةِ مِن اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ

لَمّا أشارَ ﷺ إلى الاستدلالِ على فناءِ العالَمِ بتغيُّرِه، وإلى القُدْرة على البعثِ بإيجادِ كلٍّ من المَلَوَيْن (اللَّيلِ والنَّهارِ) بعد إعدامِه، وفيما خَلَقَ اللهُ من أحوالِ السَّحاب والأمطارِ، وما يحدثُ مِنَ الخسْفِ والزَّلازلِ والمعادن والنَّباتِ والحيواناتِ وغيرِ ذلك من أحوالٍ لا يحيطُ البشرُ بإحصائِها؛ قال: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[1]، وقال الرّازيّ: "اعلم أنَّه تعالى استدلَّ على التَّوحيد والإلهيّات أوَّلًا: بتخليق السَّماوات والأرض، وثانيًا: بأحوال الشَّمس والقمرِ، وثالثًا: في هذه الآيةِ بالمنافعِ الحاصلةِ مِن اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ"[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مِن دلائلِ قُدرةِ اللهِ الخالقِ المُبدِعِ وعظَمَتِه

إنَّ في تعاقُبِ اللَّيلِ والنَّهارِ، وخَلْفِ أحدِهما الآخَرَ، وفي كلِّ ما خلَقَ اللهُ في السَّماواتِ والأرضِ لَأدلَّةً واضحةً على خالِقِها، وعلى ثُبوتِ المَعادِ إليه يومَ القيامةِ، لقومٍ يتَّقونَ غَضَبَ اللهِ وعِقابَه، فيَصرِفونَ العبادةَ له وحْدَه لا شَريكَ له، ويَمتَثِلونَ أوامِرَه، ويَجتَنِبونَ نواهيَه، لا يحمِلُهم هواهُم على خِلافِ ما وضَحَ لهم من الحَقِّ.

وتشيرُ الآيةُ إلى أنَّ التَّقوى لا تقومُ في كيانِ إنسانٍ إلّا ومعها العِلْمُ؛ ذلك أنَّه إذا نظر النّاظرُ إلى هذا الوجودِ بعَينِ العالِمِ، وبأجهزةِ العِلْمِ، رأى في اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ، وفي تعاقبِهما لمحةً مُشرقةً من لمحاتِ حكمةِ اللهِ، وقُدرتِه وعِلمِه[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/76.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/210.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/120، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/484، والقاسميّ، محاسن التّنزيل: 6/7، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/961.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الفَصْلِ في الآيةِ:

شـمـلـتِ الآيـة مـا هـو أعـمُّ مـمّـا خُـلـقَ في الـسَّـمـاواتِ والأرضِ

الآيَةُ، آيَةُ اعْتِبارٍ وتَنْبيهٍ؛ ففيها اسْتِدلالٌ بِأحْوالِ الضَّوْءِ والظُّلْمَةِ وتَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ على انْفِرادِ اللهِ تَعالى بِالخَلْقِ والتَّقْديرِ، واستشهادٌ بما هو أعَمُّ مِنَ الدَّليلِ الأوَّلِ مِن عَطْفِ قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لِشُمولِهِ ما هو أكْثَرُ مِن خَلْقِ الشَّمسِ والقَمَرِ، ومِن خَلْقِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، ومِن كُلِّ ما في الأرْضِ والسَّماءِ مِمّا تَبْلُغُ إليه مَعْرِفَةُ النّاسِ في مُخْتَلَفِ العُصورِ وعلى تَفاوُتِ مقاديرِ الاسْتِدْلالِ مِن عُقولهم، وفي ذلك عِبرةٌ عظيمةٌ[1].

بَلاغةُ التَّوكيدِ بـ ﴿إِنَّ﴾ في المطلَعِ:

إنـكـارُ الآيـاتِ مَظِنَّةِ التَّوكيدِ

تَأكيدُ هذا الاسْتِدْلالِ بِحَرْفِ ﴿إِنَّ﴾ لِأجْلِ تَنْزيلِ المُخاطَبينَ به الَّذينَ لم يَهْتَدوا بتلك الدَّلائِلِ إلى التَّوحيدِ مَنزِلَةَ مَن يُنْكِرُ أنَّ في ذلك آياتٍ على الوَحْدانيَّةِ بِعَدَمِ جَرْيِهِم على موجَبِ العِلْمِ[2].

دَلالةُ صيغةِ الافتعالِ: ﴿ٱخْتِلَٰفِ﴾:

الِاخْتِلافُ ذَهابُ كُـلٍّ مِـنَ اللّيلِ والنَّـهارِ في غَـيْرِ جِهَةِ الآخَرِ

لَفْظَةُ (الاخْتِلافِ) (افتعال) تَعُمُّ تَعاقُبَ اللَّيْلِ والنَّهارِ وكَوْنَهُما خَلْفَهُ وما يَتَعاوَرانِهِ مِنَ الزِّيادَةِ والنَّقْصِ، وغَيْرِ ذلك مِن لَواحِقِ سَيْرِ الشَّمسِ وبِحَسَبِ أقْطارِ الأرْضِ[3]، ففيها المبالغةُ والاجتهادُ في طلب الفعل، والمشاركةِ فيه؛ فالاخْتِلافُ: ذَهابُ كُلٍّ مِنَ الشَّيْئَيْنِ في غَيْرِ جِهَةِ الآخَرِ، فاخْتِلافُ المَلَوَيْنِ: ذَهابُ هذا في جِهَةِ الضِّياءِ وذاك في جِهَةِ الظَّلامِ[4].

الاخـتـلافُ الـتَّـفـاوتُ في الطّولِ والقِصَرِ

ولِلاخْتِلافِ مَعْنًى آخَرُ هو مُرادٌ أيْضًا وهو تَفاوُتُهُما في الطّولِ والقِصَرِ، فَمَرَّةً يَعْتَدِلانِ ومَرَّةً يَزيدُ أحَدُهُما على الآخَرِ، وذلك

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/97.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/97.
(3) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 3/106.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/77.

بِحَسَبِ أَزْمِنَةِ الفُصولِ، وبِحَسَبِ أمكِنَةِ الأَرْضِ في أَطْوالِ البِلادِ وأَعْراضِها كما هو مُقَرَّرٌ في عِلْمِ الهَيْئَةِ، وهذا أَيْضًا مِن مَواضِعِ العِبْرَةِ؛ لأَنَّهُ آثارُ الصُّنْعِ البَديعِ في شَكْلِ الأَرْضِ ومِساحَتِها لِلشَّمسِ قُرْبًا وبُعْدًا، ففي اخْتِيارِ التَّعْبيرِ بِالاخْتِلافِ هُنا سِرٌّ بَديعٌ لِتَكونَ العِبارَةُ صالِحَةً لِلْعِبْرَتَيْنِ[1].

سِرُّ تأخيرِ الآياتِ وتقديمِ جُملتَيِ الاختلاف والخلْقِ:

بعدَ ذكْرِ الدَّلائلِ نبّهَ إلى الحذرِ منَ العواقبِ

سيقَتِ الجُمَلُ السّابقةُ سَوقَ الدَّلائِلِ[2]، فاسْتَدَلَّت على التَّوْحيدِ والإلَهيّاتِ: بِتَخْليقِ السَّماواتِ والأَرْضِ، وبِأَحْوالِ الشَّمسِ والقَمَرِ، وبِالمَنافِعِ الحاصِلَةِ مِن اخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، وبِكُلِّ ما خَلَقَ اللّه في السَّماواتِ والأَرْضِ، وهي أَقْسامُ الحَوادِثِ الحادِثَةِ في هذا العالَمِ، وهي مَحْصورَةٌ في الأَحْوالِ الحادِثَةِ في العَناصِرِ الأَرْبَعَةِ، ويَدْخُلُ فيها أَحْوالُ الرَّعْدِ والبَرْقِ والسَّحابِ والأَمطارِ والثُّلوجِ، ويَدْخُلُ فيها أَيْضًا أَحْوالُ البِحارِ، وأَحْوالُ المَدِّ والجَزْرِ، وأَحْوالُ الصَّواعِقِ والزَّلازِلِ والخَسْفِ، وفي أَحْوالِ المَعادِنِ، وهي عَجيبَةٌ كثيرَةٌ، وفي اخْتِلافِ أَحْوالِ النَّباتِ، وفي اخْتِلافِ أَحْوالِ الحَيَواناتِ.

ثُمَّ إنَّهُ تعالى بَعْدَ ذِكْرِ هذه الدَّلائِلِ و(الآياتِ) نبَّهَ وأَحالَ العقلاءَ على مَقامِ الحَذَرِ مِنَ العَواقِبِ لِيَدَّبَّروا ويعتبِروا[3]، قال القَفّال: "مَن تَدَبَّرَ في هذه الأَحْوالِ عَلِمَ أَنَّ الدُّنْيا مَخْلوقَةٌ لِبَقاءِ النّاسِ فيها، وأَنَّ خالِقَها وخالِقَهم ما أَهْمَلَهم بَلْ جَعَلَها لَهم دارَ عَمَلٍ، وإذا كانَ كذلك فَلا بُدَّ مِن أَمرٍ ونَهْيٍ"[4].

وَجْهُ الطِّباقِ بين اللّيلِ والنّهارِ:

اللَّيلُ والنَّهارُ مُتلازمانِ، ولا يُعرَفُ الواحدُ منهما إلّا بدَلالةِ الآخَرِ

اجتماعُ الضّدّيْن في الكلام، منَ الحُليّ البديعيَّةِ؛ لأَنَّ الخِطابَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/79.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/210.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/210.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 2/484.

طابَق الضِّدَّين في نسقٍ جلاليٍّ بالقدْر المشترك بين اللَّيل والنَّهار من تَعاقُبِهما، وكَوْنِ كُلٍّ منهُما خِلْفَةً لِلآخَر؛ إذا جاءَ هذا ذَهَبَ هذا، وإذا ذَهَبَ هذا جاءَ هذا، لا يَتَأخَّرُ عَنْهُ شَيْئًا[1]، والحاصلُ: أنَّ اللَّيلَ والنَّهارَ ظاهرَتان مُتلازِمتان، ولا يُعرَفُ الواحدُ منهما إلّا بدَلالةِ الآخَر.

نُكتةُ تقديمِ اللّيلِ على النّهارِ:

الـظـلامُ أصـلٌ في الـوجـودِ، والضّياءُ حادِثٌ عليه

النُّكتةُ في تقديم اللَّيل على النَّهارِ في سياقِ التَّعبير القُرآنيِّ الاعتبارُ بالظَّلام الَّذي كانَ أصْلًا في هذا الوُجودِ؛ وأمّا الضّياءُ فحادِثٌ، بدليل قولِه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ [يس: 37]؛ إذ: "يَرِدُ على النَّهارِ على اللَّيْلِ فَيَأْتي بالظُّلْمَةِ، وذلك أنَّ الأصْلَ هي الظُّلْمَةُ والنَّهارُ داخِلٌ عليه، فَإذا غَرَبَتِ الشَّمسُ سُلِخَ النَّهارُ مِنَ اللَّيْلِ أيْ: كُشِطَ وأُزيلَ، فَتَظْهَرُ الظُّلْمَةُ"[2]. فـ" الأصْلُ في هذا الوُجودِ الظَّلامُ؛ والضّياءُ حادِثٌ؛ وكانَ ضياؤُهُ لَيْسَ خالِصًا"[3].

والتَّقديمُ باعتبارِ الأسبقيَّةِ على عوائد القرآن الكريم؛ فحيثما وردَ اللَّيلُ والنَّهارُ، قُدِّمَ اللَّيلُ على النَّهارِ؛ لأسبقيَّته في الوجودِ، وكذلك تَقديمُ الشَّمسِ على القمرِ.

دَلالةُ الواو في: ﴿وَمَا﴾:

الـجـمـعُ بـين الاستدلالِ الأعَمِّ مِنَ الدَّليلِ الأوَّلِ

يُساقُ حرفُ العَطفِ (الواو)؛ ليفيدَ الجمعَ والمشاركةَ بينَ المَعطوفِ والمعطوفِ عليه في حُكمٍ واحدٍ. وعليه: فإنَّ واوَ العطْفِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ للجمعِ بين الاستدلالِ الأعَمِّ مِنَ الدَّليلِ الأوَّلِ لِشُمولِهِ ما هو أكْثَرُ مِن خَلْقِ الشَّمس والقَمَرِ، ومِن خَلْقِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، ومِن كُلِّ ما في الأرْضِ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/249.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 4/423، وعزاه إلى الفرّاء، وهو مذكور بمعناه في معاني القرآن: 2/378.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/128.

والسَّماءِ مِمّا تَبْلُغُ إليه مَعْرِفَةُ النّاس في مُخْتَلفِ العُصورِ وعلى تَفاوُتِ مَقاديرِ الاِسْتِدْلالِ مِن عُقولهم[1].

إيثارُ الموصولِ (ما):

المُـرادُ جميعُ المخلوقاتِ فلا يفوتُ شيءٌ ممّا خَلَقَ

أوثرَ الاسمُ الموصولُ المُبهمُ؛ لتحقيقِ عُمومِ الإحالةِ على جميعِ المَخْلوقاتِ تقريرًا لمقصد انْفِرادِ الله تَعالى بِالخَلْقِ والتَّقْديرِ، فهو سُبحانه خلقَ كلَّ شيء في السَّماواتِ والأرض، من عاقلٍ وغيرِ عاقلٍ، من حيٍّ وجمادٍ، من ظاهرٍ وباطنٍ، من كبيرٍ وصغيرٍ، فلا يفوتُ شيءٌ ممّا خَلَقَ.

عِلةُ التَّعبيرِ عن خلْقِ الله بالماضي:

القَصْدُ تيقُّنُ وُقوعِ الخَلْقِ

والقَصدُ من سَوْقِ الخَلْقِ بصيغة الماضي، إفادةُ اليقينِ بوقوعِه، ودليلُه حاضرٌ يُشاهدُ، وماثلٌ يُرى، وذلكم محطُّ الاعتبار والتَّفكُّرِ لا الإنكارِ والتَّحيُّرِ.

وَجْهُ إظهارِ فاعلِ الخَلْقِ:

قَصْرُ خاصيَّةِ الخَلْقِ على مَنْ له الإحاطَةُ الكامِلَةُ والقُدرةُ المُطْلَقةُ

إظهارُ فاعلِ الخَلْقِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ لقصْرِ خاصيّةِ الخَلقِ على مَنْ له الإحاطَةُ الكامِلَةُ[2]، فضلًا عن كوْنِ الخَلْقِ من مواضعِ الكمالاتِ، والعَظَمةِ الَّتي لا يقدرُ عليها إلا مَنْ له القُدرةُ المُطْلَقةُ، والتَّمكينُ، والسُّلطانُ.

دَلالةُ (في):

الاخْتِواءُ واستيعابُ الظَّرفيّةِ الزّمانيّةِ والمكانيّةِ

للحرف (في) دلالاتُ الاحتواءِ والاستيعابِ، وهو بما قد يحملُه من معاني الظَّرفيَّةِ الزّمانيّةِ والمكانيّةِ، سيق للاسْتِدْلالِ بِأحْوالِ الضَّوْءِ والظُّلْمَةِ، وتَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، وفي ذلك عِبْرَةٌ عَظيمَةٌ.

نُكتةُ تقديمِ السَّماواتِ على الأرض:

وتقديمُ السّماء على الأرض، فيه معنى أنَّ السَّماواتِ والأرضَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/97.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/194.

آياتُ السَّماواتِ أعظمُ منها في الأرضِ

تُذكر غالبًا في سياقِ آياتِ الرَّبِ الدّالَّةِ على وَحدانيَّتِه، ورُبوبيَّتِه؛ ومعلومٌ أنَّ الآياتِ في السَّماواتِ أعظمُ منها في الأرضِ؛ لسَعَتِها، وعِظَمِها، وما فيها من كَواكِبِها، وشَمسِها، وقَمَرِها، وبُروجِها، وعُلوِّها، واستغنائِها عن عَمَدٍ تُقِلُّها، أو عِلاقَةٍ ترفَعُها، إلى غيرِ ذلك من عَجائِبِها، وما فيها كقطرةٍ في سَعَتِها؛ ولهذا أمرَ سُبْحانَه بأنْ يُرجِعَ النّاظِرُ فيها البَصَرَ كَرَّةً بعد كَرَّةٍ، ويتأمّلَ استواءَها، واتّساقَها، وبراءَتها منَ الخلل، والفُطورِ، فالآيةُ في السَّماواتِ أعظمُ منَ الأرض، وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ سُبحانَه وبحمدِه[1].

بيانُ معنَى اللّامِ في ﴿لَآيَٰتٍ﴾:

التّوكيدُ بأنَّ آياتِ الله دليلُ كمالِ قُدرتِه

دخلتِ اللّامُ على اسْمِ إنَّ وهو قولُه: ﴿لَآيَٰتٍ﴾؛ لِحَيْلولَةِ الخَبَرِ بَيْنَهُ وبَيْنَها، إذْ لَوْ كانَ يَليها، ما جازَ دُخولُها، وهي لامُ التَّوْكيدِ، فصارَ في الجُملَةِ حَرْفا تَأْكيدٍ: إنَّ واللّام[2].

والآياتُ جمع آية، وهي الأمرُ الكونيُّ الدّالُّ على وَحدانيّة اللّه وكمالِ قُدرتِه، وإبداعِ الكوْنِ على غيرِ مثالٍ سابقٍ، وأنَّه سُبحانه مُنْشئُ الكون بإرادتِه[3]، وهذا المعنى مَظنّةُ التَّوكيدِ.

وَجْهُ جمعِ الآياتِ جمعَ تأنيثٍ:

تعدُّدُ الآياتِ وتنوُّعُها سبيلُ التَّفكُّرِ والاتِّعاظِ

وتَحريرُ القولِ في جَمعِ الآياتِ؛ أنَّ في كُلِّ ما ذُكِرَ من خَلْقِ السَّماواتِ والأرْضِ وما عُطِفَ عليه آياتٍ؛ ليكونَ الكَونُ دالّا على أنَّ له خالقًا مُدبِّرًا مُختارًا، مُتعدّدَ الآياتِ، مُتنوّعَ الدّلالاتِ؛ ليتّعظَ الغافلُ، ويهتديَ بالأَمارات الضّالُّ.

سِرُّ تنكيرِ الآياتِ:

تفخيمُ آياتِ اللهِ العظيمةِ الكثيرةِ

التَّنْكيرُ في الآياتِ لِلتَّفْخيمِ كَمًّا وكَيْفًا؛ على معنى: أنَّها آياتٌ

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/130.
(2) المحيميد، الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط: 1/345.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3519.

عَظيمَةٌ وكَثيرَةٌ، وهي على كثرتِها دالَّةٌ على القُدْرَةِ والحِكْمَةِ الباهِرَةِ، والرَّحْمَةِ الواسِعَةِ المُقْتَضيَةِ لاخْتِصاصِ الأُلوهيَّةِ بِهِ سُبحانَه[1].

دَلالةُ اللّامِ في ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

تخصيصُ الآياتِ للمُتَّقين تعريضٌ بالمشركين

اللّامُ لِلتَّعْليلِ، والمُعَلَّلُ هو ما في مَدْلولِ الآياتِ مِن مُضَمَّنِ معنى الدَّلالَةِ والنَّفْعِ. وقد صَرَّحَ في هذا بأنَّ الآياتِ إنَّما تَنْفَعُ القَومَ المُتَّقين تَصْريحًا بأنَّهُمُ المَقْصودُ في الآيَتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ بقوله، وإتْمامًا لِلتَّعْريضِ بالمُشْرِكينَ[2] بأنَّهم لم يَنْتَفِعوا بهذه الآياتِ ولم يهتَدوا بها؛ فلَيْسَتْ عُقولُهم براسِخَةٍ ولا هي مَلَكاتٌ لَهم، ولا يَخافون العواقبَ[3]، ولْيَعلَموا أنَّ بُعْدَهم عنِ التَّقوَى هو سببُ حِرمانِهم مِنَ الانتِفاعِ بالآياتِ، وأنَّ نَفْعَها حاصِلٌ للَّذين يتَّقون، أي: يَحذَرون الضَّلالَ[4].

الآياتُ دَلائِلُ لِقَوْمٍ يَقومونَ في الأمرِ حَقَّ القيامِ

ويَجوزُ أنْ يَكونَ الجارُّ والمَجرورُ ظَرْفًا مُسْتَقِرًّا في مَوْضِعِ الحالِ مِنَ الآياتِ، أيْ حالَ كَوْنِها دَلائِلَ لِقَوْمٍ يَقومونَ في الأمرِ حَقَّ القيامِ؛ إذ فيهِ إشْعارٌ بأنَّ ذلك لا يَنالُهُ مَن هو في سِنِّ النّاس حَتّى يَتَنامى طَبْعُهُ وفَضيلَةُ عَقْلِهِ إلى أنْ يَكونَ مِن قَوْمٍ يَقومونَ في الاعْتِبارِ قيامَ المُنْتَهِضينَ في أُمورِ الدُّنْيا؛ لِأنَّ العَربَ عَرَفَتِ اسْتِعْمالَها في القَوْمِ إنَّما هو لِأجْلِ النَّجْدَةِ والقوَّةِ حَتّى يَقولونَ: قَوْمٌ أوْ نِساءٌ. تَقابُلًا بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ[5].

وَجْهُ تَكرارِ لفظةِ ﴿لِّقَوْمٍ﴾ في الآيَتَيْن:

مِن مُقَوِّماتِ القوميّةِ رسوخُ وصْفِ العِلْمِ والتَّقوَى في أهْليهم

ذِكْرُ لَفْظِ (قَوْم) في الآيتين إيماءٌ إلى أنَّهم رَسَخَ فيهِم وصْفُ العِلْمِ والتَّقوَى، فَكانا مِن مُقَوِّماتِ قَوْميَّتِهِم، وأنَّ ذلك الوصْفَ سَجيَّةٌ فيهِم، ومِن مُكَمِّلاتِ قَوْميَّتِهِم، فَإنَّ لِلْقَبائِلِ والأُمَمِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/185.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/404.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/82.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/98.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 2/298.

خَصائِصَ تُمَيِّزُها وتشْتَهِرُ بها كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التَّوبة: 56]، وقد تَكَرَّرَ هذا في مواضِعَ كَثيرَةٍ مِنَ القُرْآنِ ومِن كلامِ العَربِ، فالمعنى: أنَّ في ذلك آياتٍ لِلَّذينَ سَجيَّتُهُمُ العَقْلُ والتَّقوَى[1].

بيانُ التَّشابُهِ بين ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، و﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾:

انتِفاعُ الّذين يعلَمون بالتَّفصيلِ أكثرُ وأكْملُ

خُصَّ مَن يَعلَمُ بتَفصيلِ الآياتِ لهم، مع أنَّه تعالى فَصَّل الآياتِ للجُهَلاءِ أيضًا؛ لأنَّ انتفاعَهم بالتَّفصيلِ أكثرُ[2]؛ فهُمُ الَّذين يَنتَفِعون بتَفصيلِ الآياتِ، ويتَدبَّرون بها في الاستِدْلالِ، والنَّظرِ الصَّحيحِ[3].

المتّقونُ يَخشَونَ الوقوعَ في شأنِ مخافةِ الله ويحذَرون ذلك

وخَصَّ المتَّقينَ؛ لأنَّهم الَّذين يحذَرون منَ الوُقوعِ في شَيءٍ مِمّا يخالِفُ مُرادَ اللهِ سُبحانه، ويَخافون العَواقِبَ، فيَحمِلُهُمُ الخوفُ على التَّدَبُّرِ والنَّظَرِ[4].

نُكتةُ التَّعبيرِ عنِ التّقوى بالمضارعِ:

تجدُّدُ التَّقوَى سجيَّتُهم ودَيْدَنُهم ودأْبُهم

والإتْيانُ بالفِعْلِ المُضارِعِ لإفادَةِ التَّكْرارِ والتَّجدُّدِ على وجهِ السَّجيَّةِ[5]، فهمُ الدّائمون على التّقوَى، الدّائبون على تحصُّلِ أسبابِها.

سِرُّ تخصيصِ المتّقين بالذِّكْر:

إعلاءُ مقامِ المتّقين عندَ الله ثمَّ النّاسِ

خَصَّ ﷻ المُتَّقينَ بالتَّذكيرِ تَشْريفًا لَهم؛ إذِ الاعْتِبارُ فيهم يَقَعُ[6]؛ ولِأنَّهم يَحْذَرونَ العاقِبَةَ فَيَدْعوهُمُ الحَذَرُ إلى التَّدَبُّرِ والتَّأمُّلِ؛ لِأنَّ التَّقْوَى هي الدّاعيَةُ لِلنَّظَرِ[7]؛ فالمُتَّقون همُ المتَّصِفون باتِّقاءِ ما يوقِعُ في الخُسْرانِ، فيَبعَثُهم على تَطلُّبِ أسبابِ النَّجاحِ، فيتَوجَّهُ الفِكْرُ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/82.
(2) الأنصاريّ، فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: 1/243.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/15.
(4) المقدّم، تفسير القرآن الكريم: 7/81.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/97.
(6) الزُّحيليّ، التَّفسير الوسيط: 2/944.
(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/210.

إلى النَّظرِ والاستِدْلالِ بالدَّلائلِ[1]، لذلك عُدّتْ ميزانَ التَّفاضُلِ في الإسلام، وسببَ تحصُّلِ الإكرام، والقُربِ منَ العلّام.

تَنْزيلُ الفعْلِ المُتَعَدّي منزلةَ اللّازمِ:

تنزّلُ الفعلِ المتعدّي منزلةَ اللّازمِ يجعلُ التّقوَى وصْفًا مُلازِمًا لأهلها تحريضًا على التّأسّي

قَصَدَ بتنزيل الفعْلِ المُتعدّي مَنزِلةَ الفعلِ اللّازِم في قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، وقولِه: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ إلى إثبات معنى الفعلِ لفاعِلِه، أي: أنّهم ذَوو علْمٍ وذَوو تقوَى، وأنّهم متّصفون بتلك الصِّفة، ويلزمُ بعد ذلك تقوَى الله؛ وفي ذلك دلالةٌ على السَّجيَّةِ وملازمةِ الأوصاف لذَويها[2].

تناوبُ التّعبيرِ بالفاصلةِ بألفاظِ العلم والإيمان واليقين والتقوى:

دَلالاتُ الآياتِ يُدركُها مَن يتّصفُ بالإيمانِ، والعلْمِ، واليقينِ، والتّقوَى

ذَكَرَ سُبحانَه أوصافَ من يُدرِكونَ الدّلالاتِ البيِّنَةَ، وأحالَ على الّذين ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [مثلاً: يونس: 5]، ومرّةً على الّذين ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [مثلاً: الأنعام: 99]، وأخرى على الّذينَ ﴿يُوقِنُونَ﴾ [مثلاً: البقرة: 118]، ومرّةً رابعةً على الّذين ﴿يَتَّقُونَ﴾ [مثلاً: البقرة: 187]، وهُمُ الّذين يُدرِكون ما تَدلُّ عليه الآياتُ، ومَن لا يُدرِكُها ليس عنده علمٌ ولا إيمانٌ ولا يقينٌ ولا تَقوَى، وعَدمُ إدراكِهم ناشئٌ عن ظَنِّهم أنَّ الحياةَ الدُّنيا هي كلُّ شيءٍ فلا يَتدبَّرون ما بعدَها ويُنكِرون البَعثَ[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/98.
(2) عفيف، الشّامل في بلاغة القرآن: 2/3.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3519 - 3520.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»